

المذهب الروحاني

بين أديب وعالم

السير ارثر كونان دويل الكاتب الانجليزي المعروف ، والسير أوليفر لودج العالم الطبيعي الذي جمع بين التفوق في العلوم الطبيعية والنبوغ الوافر في الرياضيات ، كلاهما من أكثر الناس اعتقاداً بالمذهب الروحاني ، وبمخاطبة الارواح . ولو أنهما اقتصرتا على الاعتقاد بأن للذوات الفانية أرواح تحل محلها بعد أن تتارق الأبدان الترابية ، إذن لجاز لنا أن نحاول التوفيق بين استغراقهما في المادية حينئذ اعتناقهما للمذهب الروحاني من بعد ذلك . غير أنهما كما يعتقدان بالارواح يعتقدان بمجواز اتصالها بهذا العالم وبالذوات الحية من طريق المخاطبة والكتابة وغير ذلك .

كان السير ارثر كونان دويل من المغرقين في المادية المغالين في الأحاد ، ثم ما لبث أن انقلب مؤمناً شديداً بالإيمان ، وروحانياً مفرطاً في الثقة بما يروى عن الوسطاء الذين هم يخاطبون الارواح ويستطيعون استحضارها وبالأقاصيص التي تنقل عنهم . أما السير لودج فعلى الرغم من وقوفه على أسرار الطبيعة واستمعاظه في درس الرياضيات ، قد ألف كثيراً من الكتب التي حاول فيها أن يثبت المذهب الروحاني ، وأن ينشر له الدعوة الواسعة العريضة بكثير من حرارة الإيمان واليقين .

على أن الاعجب من هذا أن سير لودج لم يحاول أن يثبت المذهب وينشره لا غير ، بل مضى يحاول أن يطبقه تطبيقاً عملياً على حقائق التاريخ الكبرى ، وعلى الخرافات التي ذاعت في قصة الخلق كما جاءت في أسفار موسى . على أننا لا نريد أن نتابع البحث باستفاضة فيما ذهب إليه سير لودج ، بل نضرب مثلاً واحداً هو كلامه في تعليل وجود آدم والتوفيق بين قصة الخلق

وبين ما ثبت من مباحث النشوء والاشربولوجيا . فانه لم يستطع أن ينكر الحقائق التي تقوم عليها مبادئ العلوم الحديثة التي أثبتت اثباتاً قاطعاً بأن الانسان متسلسل عن صورة أحط من صورته . وان مباينة الانسان للقروود العليا أقل من مباينة القروود العليا لمرتبة البريمات ، كما دلل على ذلك الاستاذ هكسلي الكبير بكثير من مباحثه التشريحية . اذن فلا بد من طريقة يعال بها سير لودج هبوط الروح الانسانية على الجسد الحيواني ، مادام أنه عاجز عن أن يثبت ان الانسان من طينة غير طينة الحيوانات الاخرى أولاً ، وما دام أنه لا يستطيع أن يجعل للحيوانات أرواحاً تشابه الروح الانسانية ثانياً . لهذا لجأ الى أسلوب في التعليل لا نعرف كيف جاز لمثله أن يتخذ قاعدة عامة يصح الركون اليها . قال بان الانسان عند ما بلغ حداً خاصاً من التدرج النشوي حلت في فرد منه ، هو أرقى افراده ، الروح الانسانية ، فافترق بذلك عن أفق الحيوان ، وكان هذا الفرد آدم عليه السلام . وكانى بالسير لودج في تعليله هذا قد ثار على الدين وعلى العلم ، فلم يبق على أساطير الأديان ، ولا على حقائق العلم .

بجانب هذا الرأي نجد رأياً آخر للعلامة وليم مكدوغال عبر عنه أحسن تعبير في كتابه « العقل والجسم » . فبعد أن ساوى بين الرأيين الحيوى والفزيولوجى ، أى الروحانى والمادى ، قضى بأنه لا يزال شديد الايمان بصحة المذهب الاول دون الثانى . غير أنه لم يتطرف تطرف سير لودج ولا خرج عن الاسلوب العلمى البحت . فبعد أن أتى على تاريخ المذهبين منذ أقدم العصور الى أواسط القرن التاسع عشر ، قضى بان البحث العلمى لا يزال يؤيد الفكرة الروحانية . غير أن مثله في هذا كمثل الباحثين في نشوء الحياة . فان رأى السائد اليوم على أنه الحي لا بد من أن يتولد من حي مثله ، وان لاحياة بغير حياة سابقة لها في الزمان والمكان . هذا على الرغم من أنه يعتقد بان الحياة لا بد من أن تكون قد نشأت بداءة من مواد غير حية تحت تأثير ظروف طبيعية خاصة ، وفي دور خاص من أدوار النشوء الكونى . غير أن

البحث العلمى لا يركن الى النظريات وان كانت كل القرائن تدل على صحتها عقلاً ، مالم تثبت صحتها بالاختبار . فالاختبار يؤيد ان الحى لا يتولد الا من حي مثله . لهذا وجب أن نرفض القول بالتولد الذاتى علمياً ، وإن اقتنعنا به عقلاً . وعلى هذه القاعدة جرى الاستاذ مكندوغال . اذ قضى للرأى الحى دون الرأى الفزيولوجى . ذلك لان العلم لم يثبت حتى الآن بالاختبار امكان تركيب آلة مفكرة حساسة ذات سيالات مغناطيسية خفية من طريق فزيولوجى . صرف . وهو على الرغم من اقتناعه عقلاً بان ذلك جائز ، فانه علمياً لا يجوز الجزم به على صورة قاطعة



سير اوايفر لودج

ننتقل بمد هذا الى السير آرثر كونان دويل فقد نشر منذ مدة طويلة كثيراً من المقالات فى المجلات الانجليزية الكبرى عدد فيها كثيراً من آراء السابقين عليه فى العلماء والباحثين ، وروى فيها قصصاً عن حوادث وقعت بالفعل ، وعن أشياء لا يزال ينتظر الباحثون استكشافها . ونشر بمد ذلك كتاباً تحت عنوان «الوحى الجديد» - The New Revelation - عقد فى أوله

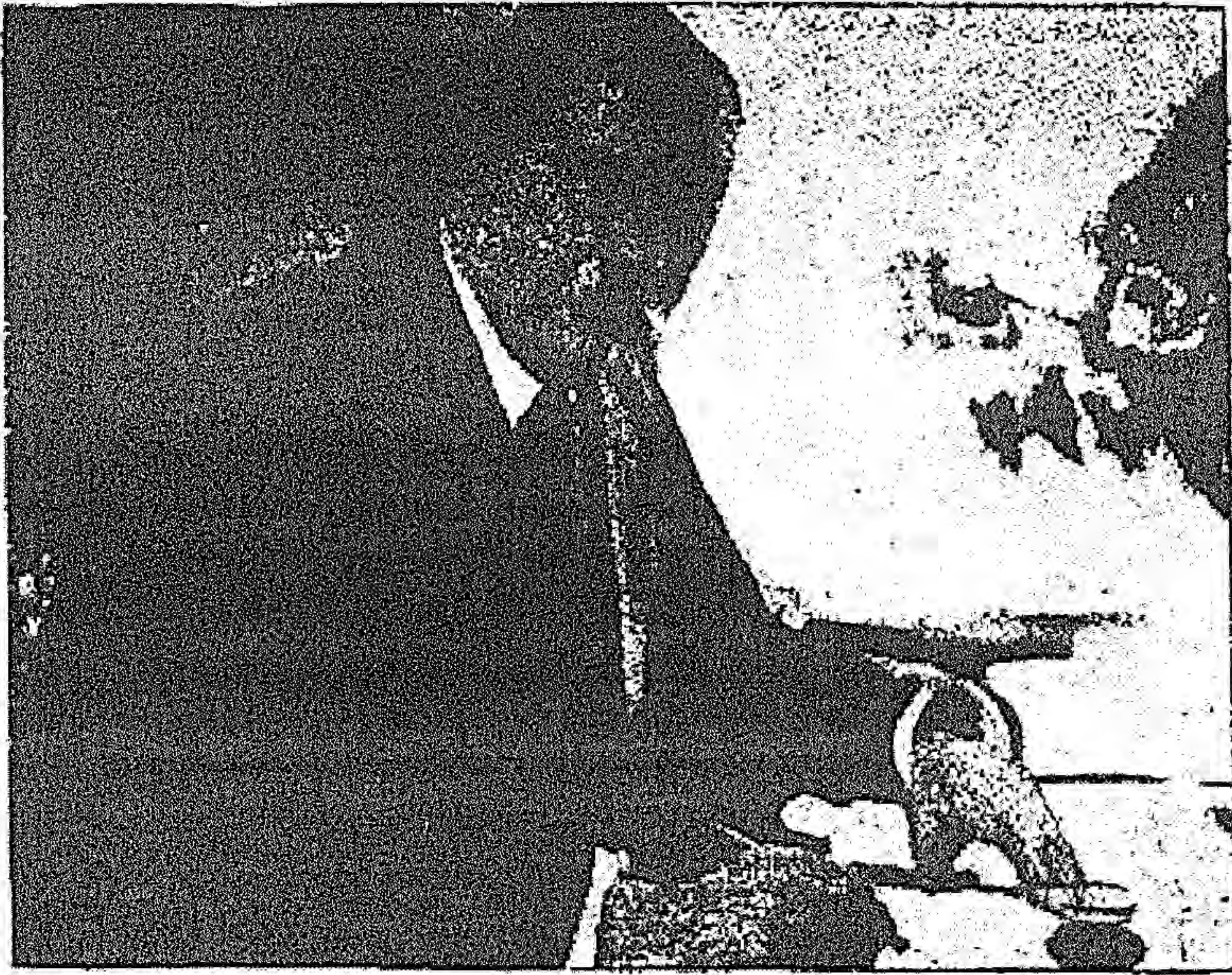
فصلاً أظهر فيه الانقلاب الذهني الذي تولاه منذ أن حاول البحث وراء حقيقة الارواح ، وهل هي موجودة أولاً ، ثم هل يمكن مخاطبتها ثانياً ، مع ما يتبع ذلك من حالاتها في العالم الثاني وعلاقتها بهذا العالم .

وفي سنة ١٨٩١ اشترك السير دويل في جمعية المباحث الروحانية اشتراكاً فعلياً بعد ان ظل زماناً طويلاً والشكوك تساوره ، ونزعته المادية تغالبه ، ومن ثم أكب على كل ما أخرجت هذه الجمعية من مطبوعات يقتلها بحثاً وتنقيباً الى أن بدأ الشك يزول من قلبه ويحل محله إيمان ثابت بصحة النظرية الروحانية وبصحة مخاطبة الارواح .

ووقع له منه بعد ذلك كتاب أخرجه العلامة « ميرز » - Myces - وسماه « الشخصية الانسانية » - Human Personality - وهو كتاب يصنفه سير دويل بأنه كتاب عظيم . غير أنه يقول بأن « ميرز » في كتابه هذا قد عجز عن تكوين نظرية عامة أو وضع فكرة مطلقة تعلل كل ما ظهر في عالم المباحث الروحانية من المظاهر . غير أنه نجح كل نجاح في بحث تلك الظاهرة العقلية التي نستبين آثارها في نقل مؤثرات عقل الى عقل وتدعي اصطلاحاً انتقال الافكار - أو « التيلباثية » - Telepothy - فانه استطاع أن يثبت حقيقة وجودها ، وأن يبرهن عليها بكثير من الحوادث الصحيحة . وان السير دويل ليعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن الحقائق التي أتى عليها « ميرز » لا يمكن أن يتشكك فيها إلا مجادل حياً في الجدل أو أعمي لا يبصر الحقائق . وهو فوق ذلك مقتنع بأنه ما أتى به « ميرز » ينزل من المعارف الانسانية منزلة الحقائق العلمية الثابتة . وكان هذا عند سير دويل تقدم كبير في المباحث الروحانية لا يعادله شيء إلا اعتقاده بأن وجود الارواح حقيقة راهنة . فقد تساءل بعد ذلك - « اذا كان في استطاع عقل أن يؤثر في عقل آخر عن بعد ، اذن فلا بد من أن تكون هناك قوى انسانية تباين مادة الجسد على ما نعرفها علمياً » . وبذلك اعتقد سير دويل أن الارض قد تصدعت من تحت قدمي « دويل المادي المتشكك » وأن المركز الذي كان يشغله في عالم الملحدين قد تبدد ورجته الحقائق فتدبد .

ان اللهب لا يمكن أن يظل موجوداً بعد أن تنتهي الشمعة بالاحتراق .
غير أن هذه الحالة تدل على أن اللهب قد يؤثر بعيداً عن الشمعة الملتهبة ،
وانه يمكن أن يؤثر تأثيراً ذاتياً بعيداً عن أن يستمد من أصل يستند اليه .
على أن هذا التشبيه بعيد عن الواقع . لانه اذا كان في مقدور العقل أو الروح
أو الذكاء الانساني ما شئت فسمه ، أن يؤثر عن بعد وعلى غير اتصال بالبدن ،
إذن فلا بد من أن يكون مبدأ مخالفاً للجسم منفصلاً عنه ؟ وما دام الامر
كذلك فأى عائق يعوقه عن البقاء مستقلاً عن البدن بعد أن يتحلل هذا
بعد الموت ؟

أما الذين ماتوا ورحلوا عن هذه الدنيا فان السيردويل لا يرى أى حائل
يحول دون ظهورهم ثمانية في الارض على الصورة الآتية :



سير ارثر كونان دويل

إن التأثير الذي يمكن أن يرسل به الذين ماتوا قريباً لا يقتصر على ارسال
سيالروحي فكري ؟ بل يتعدى هذا الى ظهور الارواح ظهوراً عينيّاً لتثبت
للرائين أن التأثير الحادث راجع الى شخصية بقيت بعد الموت وفي استطاعتها
أن تلبس الصورة التي كانت لها في هذه الحياة . وهو يعتقد فوق ذلك أن

التدرج من حالة التيلبائية الى حالة التجلى الروحي تام الخاتمة بحيث
لا يمكن التشكك فيه بحال من الاحوال

* * *

هذا آخر ما وصلت اليه الذكر الروحانية، كما بمثابة عالم كبير وأديب عظيم
في انجلترا . أما القول بسحة هذه النظرية أو صحة هذه الوقائع فمرهون على
متابعة البحث . ولعل العلماء حتى بعد أن يثبتوا وجود الروح - وهذا جائز -
أن يثبتوا مع اثبات وجودها أنها مادة تفتى وتتحول كبقية المواد

لا أقنع إلا ...

إذا قلت في الدنيا السماء وما بها
من الكوكب اللاألاء ، والشمس والبدر
وأحرزت مدفون الكنوز وفتحت
مغاليقها عما تضم من النضر
فأنا أنا بالراضى ، ولا أنا قانع
بذاك ... ولكن سوف أقنع بالنزر
وأرضى بشعر في البسيطة عند ما
أضحك ياروح الحياة الى صدري ...

العاشق الصغير

هذا بريك مثال ذاك يشف كل عن نضاره
قلبان ما شربا سوى كأس المحبة والظهاره
سقيهما حلوين لم تدخل مياهما مراره
أعلى مثال للمحبة ماكا فيها الاماره

حسن كامل الصيرفي